ترأس الائتلاف الدولي لتقنية المعلومات والاتصالات

أبو غزالة: «المجموعة» تشتغل على الموسوعة الرقمية العربية «تاج بيديا»

حاوره- إبراهيم السواعير

تالياً حوار فكري ثقافي مع رئيس مجموعة طلال أبو غزاله يتنافذ على مفاهيم عامّة تحمل بين طيّاتها آراء اقتصادية وسياسية وفكرية؛ على اعتبار أنّ الحياة يتداخل فيها الفعل الثقافي في كلّ شيء. والفعل الثقافي هو، إضافةً للفكر والأدب والفن والتاريخ، يحمل عادات الشعوب وتقاليدها وأسلوب حياتها وأبجديات الإدارة فيها ولغتها وطموحها في الاستقلال الاقتصادي أو الكوني المتبادل ورؤيتها للآخر والنبوغ العلمي والمعرفي والتميز بالبراءات...و...إلخ. في هذا السياق نقف على رؤية طلال أبو غزالة في مجموعته العالمية وريادته في مجال تقنية المعلومات وتأسيسه معهد كونفوشيوس بعمان بالتعاون مع الحكومة الصينية، ونستعيد معه لقاءاته مع بيل غيتس، وطموحه في موسوعة رقمية عربية،إضافة إلى الدراسات الاستراتيجية المهمة التي قامت بها المجموعة.

أبو غزالة متحدثا للزميل السواعير

الشمول والتفصيل في مجموعتكم العالمية (الكونيّة)... بين تحسين الصورة العربية في حقول المجموعة والاعتراف العالمي.. المعنى هل من تأثير اقتصادي أو أفق سياسي أثرت فيه مكاتب المجموعة وأعمالها على دول نامية، منها دولنا العربية؟!... وهل كسبت تأييداً لقضايانا العادلة؟!

دعني أبدأ بقصّة! في سبتمبر ٢٠٠١ كانت حادثة نيويورك الشهيرة، وكان من المقرر أن يجتمع يومها، بالضبط، في مقر الأمم المتحدة بنيويورك، في ضيافة كوفي عنان، فريق الأمم المتحدة لتقنية المعلومات والاتصالات، وهو يوم إنشاء هذا الفريق، إذ سيتولى رسم سياسة مجتمع المعرفة في العالم. وقد كنت مدعواً شخصياً لهذا الاجتماع. في طريقي وقفت في باريس وسمعت عن الحدث العالمي، فتأجّل الاجتماع، الذي عُقد في ٢١ نوفمبر في العام نفسه، وضمّ اثنين وخمسين شخصاً منهم ٣٢ دولة تمثل العالم، وبين هؤلاء كل الدول العظمى والمتقدمة ومجموعة من الدول الأخرى بالإضافة إلى عشر منظمات عالمية، منها البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومنظمات المجتمع المدني وثمان شخصيات بصفتها التخصصية في مجال تقنية المعلومات والاتصالات، وكان الثامن بينه هؤلاء شخصي أنا!.. فكنت وحيداً بين هذه المجموعة العالمية من المؤسسات التي تقود عصر المعرفة والمنظمات الدولية. وقد أعلن الأمين العام حينها كوفي عنان في مقر الأمم المتحدة عن إنشاء ما أسماه فريق العمل في تقنية المعلومات والاتصالات، وطلب إلينا أن ننتخب من بيننا ستة أشخاص كمجلس تنفيذي؛ فتمّ انتخابي من ضمن هؤلاء الستّة. وكان لا بدّ من رئيس لهذا الفريق، ففزتُ رئيساً له ولدورتين، إلى أن عقدنا قمة المعرفة في تونس وفي جنيف. وبعدها كلّفني، أيضاً، أن أرأس الائتلاف الدولي لتقنية المعلومات والاتصالات للتنمية في الأمم المتحدة.

الإبداعات العربية

ما يهمني ان أرويه هو أنّه عقب انتخابي في تلك الجلسة في ٢١ نوفمبر أي بعد شهرين من حادثة سبتمبر المشهورة، طلبت الكلمة، وقلت: اسمحوا سيدي الرئيس وأصحاب السعادة الأعضاء أن أشكركم على انتخابي عضواً في اللجنة التنفيذية ورئيساً مشاركاً لهذا الفريق، رغم علمكم بأنني فلسطيني أردني عربي مسلم؛ أي أنّ كلّ ما هنالك من تهم موجودٌ فيّ؛ ومع ذلك فقد انتخبتموني، فأنا أشكركم وأقدّر هذا الشرف الذي منحتموني إياه. آنذاك ساد الصمت والسكوت مدة دقيقة ونصف. فقد كان الحاضرون يتفحصون وجوه بعضهم. ربما لم يخطر ببالهم أنّ هذا الذي جلس أمامهم وانتخبوه يجمع كلّ الإجرام والإرهاب في العالم!.. لكن، بعد هذه الدقيقة والنصف صفّق السفير الأميركي لتقنية المعلومات والاتصالات على مستوى العالم، واسمه ديفيد غروس، وقد تكوّنت بين وبينه عقب ذلك صداقة، إذ كان عضواً في الفريق الذي كنت أرأسه. وإذ بدأ يصفق، صفقت القاعة كلها!.. ولا أخفيك، فقد كانت هذه اللحظة من أسعد لحظات حياتي؛ لأنني لم أقل أنتم انتخبتم طلال أبو غزالة، لعلمه ولمؤسسته ولوجاهته ولسمعته، ولكن قلت إنكم انتخبتموني لأنني فلسطيني أردني عربي مسلم، وبهذا شعرت أنني استطعت أن أوصّل رسالة، وهي أنّ هذا الشخص بانتماءاته جميعها هو أفضل نموذج يمكن أن يكون في العالم.

أبو غزالة للملكية الفكرية

طبعاً هذا لم يكن بالصدفة! كان لأنني استطعت من خلال هذه المجموعة، مجموعة طلال أبو غزاله، أن أثبت جدارة في مجالات عدّة، ومنها مجال تقنية المعلومات والاتصالات وقد كنت حاضراً عن المجموعة، وهي من أهم الشركات العاملة في مجال صناعة المعرفة من خلال برامج المعلومات والاتصالات التقنية واستشارات البنية التحتية في المعلومات، وكل ما يتعلق بتقنية المعلومات والاتصالات. لقد كان في ذهن الحاضرين أن (أبو غزاله للملكية الفكرية) استطاعت أن تصبح الشركة الأكبر والأهمّ، لأنها ليست الأكبر كرأسمال أو الأكبر كمصنع أو عقار؛ وإنما هي الأكبر في مجال تقني متخصص اسمه حقوق الملكية الفكرية، وعملها حماية حقوق الملكية الفكرية. وهذا، أيضاً، له دلالة هامة أخرى في أنّ هذا العالم الذي كان دائماً ينتقد عالمنا العربي بأنّ فيه انتهاكات للحقوق، ومنها حقوق الملكية الفكرية، يجد أن المؤسسة الأكبر في العالمً للحماية حقوق الملكية الفكرية هي مؤسسة عربية تفخر بأنها تقود حماية هذا الحق على مستوى العالم. وفي الحقيقة فإنّ هذا شيءٌ نفخر به، إذ استطعنا من خلال دورنا العالمي والمهني أن نظهر شيئاً من الإبداع العربي، حتى لقد وصفنا بحسب وكالة رويترز للأنباء بأننا الإمبراطورية المهنية العلمية العالمية. المعنى أننا لسنا امبراطورية سياسة أو مال أو قوة، بل امبراطورية مهنة وعلم، وهذا يظهر لك أن كفاءات ومواهب وقدرات تجمعها مؤسسة عربية واسمها طلال أبو غزاله.

الدراسات الاستراتيجية

أرشيف المجموعة حافلٌ بقضايا غاية في التخصصية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية... من واقع ندواتكم ودراساتكم- ومنها دراسة مهمة عن حجم اللاجئين السوريين- هل استهدتْ أو على الأقل استأنست الحكومات العربية- ومنها حكومتنا في الأردن- بهذه النسب ذات الدلالة لمستقبل قدمتم مبادرتكم في المجموعة على أساس الاشتغال عليه؟

السؤال في توقيته مهم؛ لأننا عقدنا في يناير، في ملتقى طلال أبو غزالة المعرفي، وبمشاركة مسؤولين وقادة من مختلف المنظمات الدولية وبحضور وزير التخطيط الأردني، مستديرة لحوار حول موضوع المبعدين السوريين واحتياجاتهم. وأنا هنا أذكر المبعدين لا اللاجئين؛ لأنّ اللاجئ نعرف توصيفه جيداً، لكنّنا نتحدث عن كثير ممن تركوا أرضهم ولم يسجلوا أو يدخلوا في المخيمات. إذن نحن نتحدث عن عدد كبير جاءوا سائحين لفترة انتظار، نحن، كذلك، نتحدث عمن دخلوا الحدود بطرق غير شرعية، بمعنى أننا أمام أرقام مختلفة، ولا أقول أنّ الأرقام التي تنتج عن منظمات الأمم المتحدة هي غير صحيحة، بل إنها حددت نفسها بحصر ما هو مسجلٌ لديها. ونحن في النهاية نهدف إلى حصر الأرقام الحقيقية. خذ مثلاً مصر التي ليس لديها أيّ سجل لأي لاجيء سوري؛ فهنالك تضارب في الأرقام بين من يقول إنّ عدد السوريين الموجودين في مصر بعد الأزمة أو الصراع هو ما بين ١٥٠ ألفاً ومليون، وهذا بسبب عدم وجود سجل، خصوصاً وأن السوري يدخل مصر من غير تأشيرة، ومنهم من يعمل أو يستثمر. فنحن نتقصى إحصاءً أكثر دقةً وشمولية لمجموع المهجرين أو المبعدين داخل سوريا وخارجها، إذ أن العالم كلّه يتحدث عن المهجرين خارجها، لكنّ مسؤوليتنا أيضاً تجاه احتياجات المهجّر داخل سوريا، فهو عزيز علينا ولا بد من معرفة الاحتياجات خلال فترة النزوح. وعندما أتحدث عن الاحتياجات أقصد خلال فترة النزوح واحتياجاتهم للعودة إلى ديارهم، وللعلم فإنّ هذا أمر لا تتحدث عنه المنظمات الدولة أو العالم أو الدول أو ما يسمى بأصدقاء سوريا، فنحن نعمل لكي يعود هؤلاء إلى وطنهم معززين مكرمين. أريد أن أقول إنّ التباين بين أرقامنا وأرقام الأمم المتحدة يقودنا إلى أنّ الأمم المتحدة تتحدث عما خصصته من موارد لهذا الغرض، ولكنّ هنالك دعماً مباشراً يأتيهم- اللاجئين- عربياً وغربياً، وهنالك دعم مباشر يأتي من منظمات المجتمع المدني. هنالك أطعمة وأدوية ومدارس خارج موازنة الأمم المتحدة وهنالك مصاريف غير مباشرة لا يمكن تجاهلها على الدول المضيفة بما فيها الحكومة السورية؛ التي تتحمل استضافة النازحين فيها خلال تأمينهم بما يلزمهم من ماء وكهرباء وأدوية وخلافه، وهو ما ينطبق على دول الضيافة، ففي الأردن أعباء أمنية لها كلفة مالية كبيرة جداً وما يرافقها من مشكلة في سوق العمل والإنتاج الوطني، لأنهم لا يدخلون ضمن دورة الإنتاج العادية إذا ما تحدثنا عن السوق السوداء. يأتي بعد ذلك موضوع إعمار سوريا الذي قدرناه بما يزيد عن ٢٠٠ مليار دولار. فنحن، إذن، أمام قضية مهمة وكبيرة، ونحن بذلك بعيدون، في دراستنا، عن السياسة؛ إذ هي دراسة مهنية علمية لتحديد حجم المشكلة. فأشكر إشارتك إلينا بوصفنا من كبرى الشركات العالمية في مجال الدراسات الاستراتيجية ودراسات الجدوى والدراسات المالية والاقتصادية، ونحن في ذلك لدينا جمهرة من الخبراء والمتخصصين يضعون الدراسة أمام المجتمع الدولة. نحن نتحدث بمهنية، والقليلون يعلمون أنّ في بلغاريا وحدها هنالك ٣٠ ألف لاجيء سوري وكذلك في كلّ دول أوروبا الشرقية. قس على ذلك أننا لا نتحدث إلا عن السوريين في مخيمات، ولكن هنالك في لبنان والعراق مهجرين، فالدراسة باختصار هي بحجم هذا الموضوع الشائك المهم.

التنسيق المعلوماتي

في ظلّ انتشار مراكز الدراسات (الاستراتيجية)، ما بين الجادّ منها والمنمط بالنتيجة،.. كيف ترون الصدقية أو الموثوقية- بين متغيرات الأجندة الوطنية الموضوعية أو الأرضية المضللة (الانحياز)- في التأثير على صانع القرار في الموضوع قيد الدراسة؟!.. وقد لا تكون ذات بال لصانع القرار- أصلاً- موضوعية كانت هذه الدراسة أو تُعرف نتائجها قبل البدء فيها من الأساس؟!

في هذا الموضوع أودّ أن أروي لك قصّة. عندما وقّعت مصر اتفاقية كامب ديفيد منذ ثلاثين عاماً، طلب مني أمين عام جامعة الدول العربية أن أنشئ اتحاداً لمراكز الدراسات العربية، وكان مقرّ الأمانة العامة وقتها في تونس، فذهبت إلى تونس وترأست اجتماعاً حضره بعض مراكز الدراسات المحترمة المشهورة في الوطن العربي وممثلو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بما في ذلك أمين عام الجامعة آنذاك الشاذلي القليبي. وقد توافقنا في الاجتماع على الحاجة الملحة لإنشاء اتحاد أو شبكة تآلف لمراكز الأبحاث العربية بغرض التنسيق في ما بينها ليكون أمام جامعة الدول العربية سجل بمراكز الدراسات التي يمكن الاعتماد على مخرجاتها ويتم الاعتراف بها من واقع تسجيلها في هذه الشبكة، فتم انتخابي رئيساً له، ولكني اعتذرت لأنني أرى أن هنالك من هو أقدر على ذلك مني بحكم انشغالي بمسؤوليات مؤسستي ومجموعتي والمهام الدولية الأخرى. لسوء الحظ دخلت السياسة في الموضوع ودخل الصراع بين المشاركين فمات المشروع.

منتدى الفكر العربي

وأنا اليوم من خلالك أوجّه نداءً إلى أمين عام جامعة الدول العربية بالحاجة إلى إنشاء هذا الاتحاد وتحت مظلة بيت العرب، وربما يكون ذلك من ضمن مسؤوليات الأمين العام المساعد للجامعة هيفاء أبو غزاله، وهي شخصية أردنية معروفة باعتبارها مسؤولة عن منظمات المجتمع المدني، وقد يصل إليها صوتي هذا وإلى الأمين العام إن سمح وقته بوصف هذا المشروع من الأهمية بمكان لصالح العرب، وأتمنى إن كان هنالك تجاوبٌ مع هذا المشروع ألا أكون طرفاً فيه، لأن همي هو أن يقوم المشروع، ولأنّ هنالك من هم أقدر مني وأخبر على قيادة هذا المشروع. ولعلّ سمو الأمير الحسن بن طلال راعي منتدى الفكر العربي الذي أفخر بأن أكون عضواً فيه منذ تأسيسه، هو من الشخصيات المهمة في الفكر الاستراتيجي، وقد تعلمت منه الكثير.

البحث العلمي

عادةً ما يتشاءم المهتمون بالبحث العلمي ويسخطون على قلّة ما يخصص من ميزانيات لهذا الموضوع. ويرفدون آراءهم بنسب تظهر البون الشاسع بين (إسرائيل) ووطننا العربي بعمومه! وأنتم على تماس وظيفياً بكل البلاد العربية والتقيتم حكام دول غنية؛ ما التنظير الذي تحملونه إزاء هذه القضية؟!

أذكر أنّ الاتحاد الأوروبي في بروكسل كان دعاني للمشاركة في مؤتمر حول البحث العلمي، وطلب مني أن ألقي كلمة في جلسة الافتتاح، وقبل أن ألقي كلمتي أشار مقدمي إلى أنّ الاتحاد الأوروبي يودّ التعاون مع مجموعتنا- طلال أبو غزاله- لإنشاء روابط في البحث العلمي بين الدول العربية والدول الأوروبية في هذا المجال، وقال إن تجربتهم في التعاون بينهم وبين دول المتوسط أي شمال أفريقيا لم تكن ناجحة، وسأل إن كنت مستعداً لكي أقود عملية ربط البحث العلمي في منطقتنا مع الاتحاد الأوروبي. استفزني هذا الكلام، وصرفت النظر عما كنت أريد أن أتكلم عنه، وقلت إنّ الاتحاد الأوروبي أخطأ حين اتبع أسلوب الانفراد بكل دولة لوحدها؛ إذ كان يريد التوقيع مع كل دولة من هذه الدول على حده، ولكن دون جدوى. وقلت إن الأسلوب الصحيح هو أن يتعامل الاتحاد الأوروبي من منطلق أننا منطقة تماماً مثل منطقة الاتحاد الأوروبي، فقلت إن أردتم تعاوناً مني فلن يكون إلا عربياً، وعلى هذا فإنّ علي أن أبدأ بإنشاء شبكة بحث علمي عربي تربط الدول العربية فيما بينها وتقوم هذه الشبكة بالتنسيق مع شبكة البحث العلمي في أوروبا، تماماً كما فعلتم في التنسيق بينكم وبين أمريكا، وبينت لهم أنّ هنالك جامعة دول عربية. وقد انتهى المؤتمر باتخاذ قرار كما طلبت، وهذا يدل على الهامش الموجود في المنظمات الدولية، فإن كنت تريد القبول فاطرح ما هو منطقي. وقد قام الاتحاد الأوروبي وللسنة الثالثة بتقديم موازنة دعم مادي وتكنولوجي ومعنوي لنا في المنطقة العربية بعد أن أنشأنا المنظمة العربية للبحث العلمي تحت مظلة جامعة الدول العربية، وأفتخر برئاسة هذه المنظمة إلى جانب الرئاسة الفخرية لأمين عام الجامعة. وقد عدت تواً من تونس بعد أن عقدنا مؤتمرنا السنوي هناك، وفعلّنا كل ما يلزم من إجراءات لمد البنية التحتية الاتصالية للبحث العلمي.

البحث له بنية اتصالية، وهو ليس كلاماً، بل هو في تبادل المعلومة والتقنية والتطوير، فقد وقعنا اتفاقاً- نحن مجموعة طلال أبو غزالة، مع منظمة الاتحاد الأوروبي، وهنا فنحن لسنا منفذين بل ممولين بالإضافة إلى تقديمنا الدعم الفني والتقني أيضاً من خلال خبرائنا، والمشروع بالطبع غير ربحي، وقد أعلنا في تونس عن إقامة خط الاتصال إلى الاتحاد الأوروبي الذي سيكون ممتداً من الإسكندرية كنقطة تجمع عربي إلى لندن، وهو خط إنترنت خاص وعلى سعة وطاقة كبيرة. ولذلك فائدة في أنّ جميع جاماتنا العربية ومراكز الأبحاث العربية تستطيع أن تستعمله، وخصوصاً في عصر المعرفة، لأنه لم يعد البحث العلمي خارج حدود تقنيات المعلومات والاتصالات.

من المؤلم أن منطقتنا العربية هي في أسفل درجات نسب الاستثمار في البحث العلمي في العالم، أي أن النسبة في الوطن العربي تقل عن نصف بالمئة من الناتج المحلي، وقد تصل في بعض الدول إلى واحد بالألف، فنحن في وضع سيء في هذا المجال، وكان لا بد من مبادرة عملية لا شعارات أو نداءات. وبهذه البنية التحتية الاتصالية التي ستكون متاحة لكل جامعات الوطن العربي، وستيتاح بذلك الدخول على مراكز الأبحاث في العالم، لاحظت أن البحث العلمي هو أكبر من سبورة و طبشورة، بل استفادة من مراكز الأبحاث وما يصاحبها في العادة من تقنيات.

الثقافة العربية

يرى مثقفون أنّ الثقافات الغربية أو ما يسمونها الكوزموبوليتيّة اخترقت بلادنا ونزعت خصوصياتنا ودمرت مكتسباتنا الثقافية باتجاه لا نعلمه!.. كيف توفقون بين هذا القول ومسعاكم في الاقتداءً بالتقدم العالمي في نهضة التعليم وحيازة أو استخدام ثمار التكنولوجيا الحديثة في رقي شعوبنا و(حضرتها) في هذا المجال؟!

أنا أحترم مثقفينا وأقدّر لهم اجتهاداتهم وحرصهم على ثقافتنا، ولكنني لا أعتقد أنهم يتحدثون عن الانغلاق بوجه التقدم أو التطور التقني، فتلك سنة الكون والحياة. الثقافة هي مجموعة من القيم والمبادئ التي ترسخها مجتمعات معيّنة في علاقاتها الداخلية ومع الآخرين، ولا أرى سبباً موضوعياً في مفهوم الثقافة في أن نتحجّر على الماضي أو السلف، أو نلغي التأثر والتأثير أو على الأقل دراسة هذا الموضوع. هل يمكن أن نفاضل بين السيارة والحصان مثلاً؟!.. هل نقول إنّ السيارة شر لأنها لم تكن من تراثنا؟!.. يعلم الجميع أنّ التمسك بالحضارة والثقافة والتاريخ والماضي والتراث لا يلغي الاستفادة مما بيننا أو حولنا من تقنيات. يا أخي العالم اليوم يفكر أو هو على وشك أن يخرج علينا بسيارة من غير سائق!

فإذن، من الخطأ الجسيم أن نبحث هل الإنترنت مفيدٌ أم لا يجوز أن نقترب منه! من المحزن أن نصرف وقتنا -والعالم يتقدم- في الحديث عن (ما هو مفيد استعمال الكمبيوتر أم الكتاب؟!). أو أن نقول لأبنائنا لا تستعملوا أجهزة الاتصالات الحديثة! هذا كلّه حديثٌ فيه مضيعة للوقت وهو خارج التاريخ. في الواقع لدينا ما يسمى بـ(المواطن الرقمي)، فهو الطفل الذي يولد وهو يشرب الحليب مع المعرفة. لدي هذا الكاريكاتير لمحجوب وفيه يصور الطفل الذي يولد وفي فمه لوحة رقمية مع الحليب، وهي لوحة من إبداع أردني. هؤلاء الأطفال عندما يدخلون المدرسة سيفرضون عليها أن تتغير لأنّ هذا الطفل غير مستعد للتعامل مع الوسائل البدائية أو التقليدية في التعلم والمعرفة.

لدينا منظمات مهمة تعمل في هذا المجال، منها الاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة. هؤلاء الأطفال هم مواطنون بالمقارنة معي أنا والمهاجرين إلى عالم المعرفة، في حين أن أطفالنا وُلدوا في هذا العالم، عالم المعرفة. ولأنّ حظي طيب، فقد تلقيت أول درس في الحاسوب عام ١٩٦٢ في قرية خارج لندن في مركز لشركة آي بي إم وكان آنذاك أول كمبيوتر يُصنع، وفي الواقع لم يكن اسمه كذلك، فقد كان اسمه (وورد بروسيزر) أي ماكنة بحث، وكان كبيراً ويحفظ البيانات لتطبع، وقد أعجبني هذا العلم وكنت خريجاً جديداً في الجامعة، فمضيت مع هذا المشوار وانسجمت مع هذا النظام الذي قيل إنه سيغير الدنيا، ولأنني جعلت من موضوع الإنترنت والتقنية المعلوماتية موضع اهتمامي الأول فقد استطعنا أن نجعل من(أبو غزاله للملكية الفكرية) الأولى في العالم. العالم يا صديقي مقبل على تغيير بسرعة أكبر مما تراها الآن، ويأتي من يقف أمام كل هذا التطور! نحن ما نزال في عصر المعرفة في استثمار تقنية المعلومات، وعندما نتحدث عن عصر المعرفة نتكلم عن مشروع بحجم سكايب وجوجل وفيس بوك.

بيل غيتس

أذكر أنني كنت في حوار على منصة مع بيل غيتس وكان موضوع الحوار هو أين نحن الآن وما الذي سيكون عليه العالم، وكانت النتيجة أننا الآن في بداية عصر المعرفة والذي قد يمتد إلى نهاية القرن، وبعد عام ٢٢٠٠ نبدأ في عصر الحكمة وهو استعمال المعرفة لمصلحة الإنسان. نحن اليوم نستثمر المعرفة للقوة والقتل والتدمير والإرهاب وبسط النفوذ، فالسرعة في التقدم متزايدة بشكل كبير. أطالع الآن دراسة تقول بانسجام الإنسان مع الآلة في عام ٢٠٥٠ وهو ما تشتغل عليه مراكز أبحاث في أميركا للوصول إلى مرحلة التوحد بين الطرفين. أتمنى على أدبائنا ألا يضيعوا الوقت في الحديث عما هو ممنوع أو غير ممنوع في هذا المجال؛ لأنّ المعرفة في المستقبل إنما هي معرفة كونية واحدة. في المستقبل سنكون أمام وضع مختلف للجامعة والمدرسة بسبب دخول هذا التطور الكبير في تقنية المعلومات.

الموسوعة العربية الرقمية

في موضوع التعليم كانت محاضراتكم تنطلق من بيئة حقيقية للمواطنة وفهم واعٍ للولاء والانتماء وتحرير للعقل من قيود الوظيفة!.. كيف أسهمتم في الأكاديمية بتوسيع الأفق الموسوعي، ولديكم موسوعة ضخمة هي محل اشتغال؟!

أنت تعلم أنني من المتعصبين للغة العربية ومن المؤمنين بها إيماناً لا حدود له. وقد أنتجت خمس قواميس، منها أول قاموس محاسبي في الوطن العربي باللغة العربية، وقد صدر عام ١٩٧٢، وبسبب إيماني بأنّ اللغة العربية لغة عظيمة، فإننا نعمل الآن على الإنسيكلوبيديا الرقمية لسد الثغرات والأخطاء الموجودة في الويكيبيديا؛ حيث أن الويكيبيديا مشروع لم يعط اللغة العربية حقها. مثال ذلك أنّ المواد العربية الموجودة على الويكيبيديا لا تزيد عن ٣٠٠ ألف، مما يجعل اللغة العربية رقم ٢٨ بين لغات العالم على الإنترنت. وهذا أمرٌ محزن لأننا على مستوى السكان على الأقل لنا حجم كبير لا يستهان به، كما أن لغتنا العربية لغة عريقة، هذا بالنظر إلى لغة ميتة كاللغة العبرية.

ولذلك، فنحن عندما نطلق الـ(تاج بيديا) سنطلقها بمجموع نصف المليون. ناهيك عن أنّ مواد الويكيبيديا فيها مواد مكررة أو غير صحيحة، أو تخضع للمزاجية في الرد. لذلك موسوعتنا الرقمية العربية هي أشبه ما تكون في موثوقيتها أو مرجعيتها أو دقتها بالموسوعة البريطانية التي هي ليست فضاءً حراً لمن يريد اللعب بها أو تخطئتها. يكفي أن أضرب من نفسي مثالاً في الويكيبيديا؛ حيث يافا التي ولدت فيها هي ليست تل أبيب! كما أن فلسطين هي ليست إسرائيل! في نهاية ٢٠١٤ أعدك إن شاء الله أن نحصل على مليون مدخل في تاج بيديا. وهذا المشروع نشتغل عليه من سنين ولا تخضع مدخلاته للمزاج الشخصي أو الضغوط السياسية فهي معلومات صحيحة، كما أنّ اللغة العربية هي وعاء المدخلات. في الوقت ذاته أنا لا أقلل من أهمية اللغة الإنجليزية، بل أدعو إلى تعلمها والاستفادة من كلّ اللغات.

معهد كونفوشيوس

تعليمكم اللغة الصينية في معهد كونفوشيوس يسرّع من وتيرة الترجمة والتواصل الثقافي- أو يخلقهما أصلاً؛ فضلاً عن الفوائد الجمة للاقتصاد والتجارة، وتبادل العمالة- على الأقل من طرفنا. في سياق محاضرة البروفيسورة الصينية في الاقتصاد الصيني (فنج لي) في ملتقاكم بعمان، نقرأ في زيارة جلالة الملك عبدالله الثاني الصين اهتماماً موضوعياً بهذا العملاق الصيني؛ الذي خالف مقولة نابليون بأنه مارد نائم؛ فكانت صحوته بما حملته من تأثير و... موقف سياسي، أيضاً في المنطقة!.. لكم في تعليم هذه اللغة ريادة مؤسسية؛ وفي اجتذاب الخبراء أسلوب ممنهج، ماذا ترون؟!..

في الواقع دائماً ما نقول(اطلبوا العلم ولو في الصين)، و(كل لسان بإنسان)، وغير ذلك مما نحض به على تعلم اللغات. بالنسبة للغة الصينيةً جاء إيماني بها كلغة عظيمة، ولأنها يتحدث بها شعب تتقدم دولته سريعاً، والمستقبل لها، والأيام أثبت لكل العالم صحة ما أقول.

بدأت قصتي مع اللغة الصينية بنفسي، فقد سألني ابني ماذا يدرس أبناؤه؛ فقلت دع أحفادي يتعلمون الصينية، فلذلك كنا نأخذهم إلى مخيمات لتعليم هذه اللغة في الصين. كان لا بدّ من اجتذاب الصينيين إلى هنا، وثقافة الصيني هي ثقافة واعية. هم حذرون جداً ولا يأخذون قراراً خبط عشواء. أقول لك إن عشر سنوات على الأقل مرّت وهم يفحصون دعوتنا لأن يكون في الأردن معهد كونفوشيوس، حتى قرروا في نهاية الأمر أن تكون مؤسسة طلال أبو غزالة أول مؤسسة خاصة في الدنيا تقيم شراكة مع معهد كونفوشيوس وهو مؤسسة حكومية!.. فليس هنالك أي نموذج مماثل لنا كقطاع خاص يتعاون مع كونفوشيوس في شراكة وتنسيق لتعليم اللغة الصينية. ولأن الثقة زادت فقد تمكنت مؤسسة طلال أبو غزالة في كونفوشيوس من التعاون في مجال التأشيرات إلى الصين. هنا أنا أريد بناء وطني وأشجع على تعلم اللغة الصينية وأشجع على السفر إلى الصين. الصين كانت في يوم من الأيام تشكل تجارتها ٥٠ بالمئة من تجارة العالم. هذا يثبته التاريخ والجغرافيا. الرئيس ديغول كان يقول إنك لا تستطيع أن تتخذ قراراً إن لم ترجع إلى التاريخ والجغرافية. وبهذين العنصرين فالصين دولة مهمة.

(أبو غزالة للملكية الفكرية) هي أول من فتح مكتباً في الصين في موضوع الملكية الفكرية في شنغهاي وبكين. هذا يعود إلى دراستي التاريخ ومعاينته منذ أربعين عاماً لاتشارك أخيراً مع الصين. ومع ذلك كان الصينيون يحبون أن يطلقوا على أنفسهم اسم دولة نامية!..ولا أدري، فإن كانت هذه الدولة نامية فماذا نقول عن دولنا نحن؟! حيث شنغهاي التي تقابل نيويورك، والمنتجات الصينية التي تغزو العالم!

من خلال دراستنا للتاريخ والجغرافيا وجدنا إضافةً للصين أن عالماً لم نكتشفه بعد! هذا ينطبق على الهند، فكنا نحن أول من فتح مكتباً في الهند في هذا المجال. ما هو جميل يأتي من الشرق عبارة قرأتها في إحدى الأماكن الأثرية في الصين!

أريد أن أقول إنّ الدراسات الاستراتيجية الأميركية تقول إن الثروة تتجه من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب إلى الشرق، وتقرير الأمم المتحدة يقول إنّه في عام ٢٠٢٠ ستكون الصين والهند والبرازيل في مجموع دخلها أو ناتجها القومي تزيد عن الدخل القومي للدول السبعة الكبار: أمريكا وبريطانيا واليابان وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وكندا. أعتقد أنّ مستقبلاً للثروة نادت به أميركا، فلا أقل إذن من أن نتواصل في الأردن مع الصين.

حكمة القيادة

جلالة الملك عبدالله الثاني حفظه الله على اطلاع بدورنا في الصين، وأنا أعلم تماماً أنه يتابع بحرصه على مؤسسات الوطن الاقتصادية ما نقوم به في هذا المجال، ونحظى بمباركته. ونحن نعمل ضمن توجيهات جلالته حينما ينادي بالتعامل مع الصين، وعلى سبيل المثال فإنّ أعلى نسبة نمو في التجارة بين الأردن والدول الأخرى هي مع الصين، ولدي أرقام تقول إن التبادل التجاري الصيني الأردني هو الأعلى نسبة في النمو بين معدلات النمو في موضوع تجارة الأردن مع الدول الأخرى.

تربطني بالصين علاقة قديمة أعتز بها. الصين باختصار لا تريد أن تكون شرطي العالم أو قوة تحكم العالم. أعتقد أن سياسة الصين المعلنة وغير المعلنة تصب في هذا الاتجاه. من حكم الصين أنهم يقولون إن عليك أن تهز رأسك حتى يأتي اليوم الذي تقول فيه لا. تعلمت هذا منهم في موضوع المنافسة بين الشركات. فأن يتقصدك الآخر أو يعاديك فإن في ذلك فائدة لك لتظل يقضاً لا تسمح له بتصيد الأخطاء. وفي ذلك فائدة عظيمة لأنك ستكون قليل الأخطاء أو من غير أخطاء.

بالمناسبة هنالك سفير صيني جديد في بلدنا أوجه له التحية والاحترام وأنا أعرف أنه ستكون بيننا صداقة كما كانت لنا مع سابقيه على مستوى كونفوشيوس أو على المستوى الشخصي وانطلاقاً من حبي الشديد للصين.

كنتم، في ما مضى، قدّمتم دراسة لجلالة الملك، كانت حصيلة خبرات وكفاءات مهمة، أوضحتم فيها السياسات الواجب اعتمادها في إعداد الموازنة والمعايير المحاسبية التي ينبغي أن تراعى في ذلك!.. ضعنا بالصورة؟!

حين كرمني جلالة الملك عبدالله الثاني حفظه الله بتعييني عيناً، وكانت الموازنة على جدول البحث في مجلس الأعيان، فرض علي الحس الوطني والشعور بالمسؤولية أن أعترض على تلك الموازنة ليس لمجرد الانتقاد ولكن من واقع دراسات مفصلة في منتدى طلال أبو غزالة حول هذه الموازنة. وقد سعدنا بأن أحد أعضاء هذا المنتدى وهو سليمان الحافظ كان له دور كبير في ذلك. ولحسن الحظ فقد أصبح وزير مالية فترك منصبه في المنتدى. وقد أعلن هو عدة مرات أنه استفاد من هذه الدراسة. فهدف منتدى تطوير السياسات هو دعم المسار الحكومي ومن ذلك ننطلق في فهمنا للولاء والانتقاد الإيجابي بهدف البناء. وقد كنا ننتقد موازنة محمد أبو حمور وهو الآن رئيس الدراسات المالية في المنتدى. وقد كان مقدراً لما نقوم به من جهد.

من منطلق المسؤولية والشعور بالواجب نقوم بدراسة الموازنة الحالية في ندوة. وقد كنت قلت سابقاً إننا إن لم نتدارك الأزمة سنكون أشبه بدولة اليونان قبل الأزمة، وقد استعاد المسؤولون كلامي كاملاً فيما بعد. كل حياتي تلمذة، وقد نصحت من واقع صداقتي الطويلة مع رئيس وزراء البحرين صاحب السمو الملكي الشيخ خليفة في مواضيع وانتقدت مواضيع فقال إنه يفرح لهذ النقد، وهو ما يحب أن يسمع. أنا لا أنصح إلا من أحبهم وأشعر بثقل الأمانة والمسؤولية تجاههم.في الواقع لم أسمع اعتراضاً من مسؤول في الأردن أو تحديداً لحرية النقد وأنا أقول رأيي على مساحات الصحف وفي التلفزيونات وهذا بحد ذاته يشجع على الإنجاز والإخلاص في النقد.

ما زلت أقول إنه لا يجوز أن ندخل في إيراداتنا المساعدات. فهي لا تدخل فيها، فميزانيتي ينبغي أن تكون مبنية على دخلي القومي، وفي الهامش نقول إن هنالك مساعدات متوقعة، إذ قد تأتي أو قد لا تجيء. ولي رأيي في موضوع الضرائب وعلاقتها بالاستثمار والنظر في احتساب نسبتها أمرٌ يطول الحديث فيه.

حماية الإبداع

يقال إنّ الملكيّة الفكرية هي تنميط وذبح للإبداع في دولنا النامية أو (تنويم) أو استعمار له؛ في حين يراها آخرون أنها تحفظ الحقوق وتهذّب من الافتئات على الجهود!.. كيف تنظرون في هذا الموضوع؛ استناداً إلى معجمكم الذي هو باكورة مهمة لاشتغالكم بالملكية الفكرية على الصعيد المؤسسي التطبيقي؟!

شكراً على الإشارة إلى المعجم. كنا أصدرنا معجم المحاسبة ومعجم الأعمال ومعجم الملكية الفكرية ومعجم التعليم والتعابير التعليمية ومعجم تقنة المعلومات.

في ما يخص الملكية الفكرية، استعيد ما قاله فرانكلين روزفلت عنها من أنها هي الزيت الذي يلهب الإبداع. لا اختراع من غير حماية، فمن ذا الذي يريد أن يصرف ماله ووقته وجهده ليذهب كل ما حققه من يده فجأة؟!.. هذا أمر طبيعي وهو حافز على الإبداع والجدية، فالحماية داخل الوطن هي من مصلحة الوطن والمبدعين. الإنسان العربي قادر على الإبداع وعلينا أن نحمي إنتاجه. أنا أفتخر أنني كنت في الستينات من القرن الماضي من أوائل من دعا إلى ذلك، بينما هو في الغرب موجود. هنالك فتاوى دينية تقول بأن حفظ الح